الفصل الثالث

العلاقات الأسرية الزوجية

في المجتمع العربي السعودي

* المبحث الأول: الدعائم الشرعية للحياة الزوجية.
* المبحث الثاني: المودة والرحمة بين الزوجين.
* المبحث الثالث: الواجبات والأهداف المشتركة بين الزوجين.
* المبحث الرابع: حقوق الزوجة على الزوج.
* المبحث الخامس: حقوق الزوج على الزوجة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

العلاقات الأسرية الزوجية

في المجتمع العربي السعودي

تمهيد:

إن العلاقات الأسرية الزوجية في المجتمع العربي السعودي، تخضع في مساراتها الصحيحة لما أمر به الله تعالى من الشرع الحنيف وما ورد في السنة النبوية المطهرة.

وحتى تتضح صورة هذه العلاقات وفق شرع الله الحنيف والسنة النبوية المطهرة نحدد مفهوم العلاقات الأسرية Family Relations في بادئ الأمر.

مفهوم العلاقات الأسرية:

يعتبر الكيان الأسري ذو أهمية بالغة في التنظيم الاجتماعي حيث تضم الأسرة أولى الجماعات ذات التأثير المباشر في العلاقات الاجتماعية وهي الأم التي يُطلق عليها الجماعة الوثقى، والتي تؤثر على الصغار في أطوار نمائهم في العام الأول والأخوة والأخوات، حيث أن آثارهم أيضاً تؤثر في مراحل الطفولة وباقي المراحل التالية ثم الجماعات الأخرى (الثانوية) ذات الأثر الفعال في تنشئة الناشئة وهم الأقارب والجوار والمدرسة والمجتمع، وكلها ذات تأثير بدرجات مختلفة في أطوار ومراحل العمر المختلفة.

وفي مفهوم العلاقات الأسرية - عامة - نجد أن هناك شبكة من

العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الأسرة الواحدة. وكلما كانت العلاقات موجبة في مسارها الطبيعي، ساد جو الأسرة الوفاق والترابط والتماسك بين أعضائها، والعكس من ذلك عندما يسود جو الأسرة التنافر والتناحر وعدم الرغبة في تحمل المسئولية من قبل الآباء أو الأبناء.

ويختص هذا الفصل بالمسارات الخاصة بالعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة بين الزوجين، والتي تقوم على أساس الحقوق الزوجية التي يقرها الشرع الحنيف والمسئولية المشتركة بين الزوجين، وما يتضمن ذلك من حقوق وواجبات كل منهما.

ويتضمن هذا الفصل ما يلي:

١- المبحث الأول: الدعائم الشرعية للحياة الزوجية.

٢- المبحث الثاني: المودة والرحمة بين الزوجين.

٣- المبحث الثالث: المسئوليات والواجبات المشتركة في الحياة الزوجية.

٤- المبحث الرابع: حقوق الزوجة تجاه الزوج.

٥- المبحث الخامس: حقوق الزوج تجاه الزوجة.

المبحث الأول

الدعائم الشرعية للحياة الزوجية

تمهيد

خلق الله تعالى من الناس أزوجاً، وجعل بينهم مودة ورحمة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

والحياة الزوجية.. سكن.. عندما يتمتع الزوجان بالراحة النفسية العضوية والوجدانية والقلبية، وعندما تستقيم سُبل التفاعل بينهما في العيش النهانيء، وعندما تتآلف الأرواح وتكون الضمائر والقلوب بينهما عاملة ناصبة نحو مرضاة الله في عشرة طيبة وتآلف وتواد وتراحم بين الزوجين على السواء.

إن المجتمع السعودي.. والذي يدين أبناءه بدين الحق، ويعملون بما أمر به الله تعالى ورسوله الكريم.. هذا المجتمع تحكم الحياة الزوجية فيه دعائم شرعية وسلوكية.. بين الأعم الأغلب من الأزواج. حيث ينعم أكثر الأزواج، بما أمر به الله تعالى من سكن ومودة، ورحمة بين الأزواج، وليس معنى ذلك أن كل الأزواج سواء.. ففيهم الخبيث والطيب، ومنهم من لا يخشى الله ويتبع هواه، ومنهم من يضل به السبيل فيتخبط في سلوكه ويبتعد عن طريق الهداية وتضطرب حياته الزوجية.

لذلك يجب ألا نغالي ونقول أن الحياة الزوجية في المجتمع السعودي

في كل البيوت وتحت أسقف تضم الأزواج المتوافقين، وإن الجميع ينعم وتظله ظلال الدعائم الشرعية للحياة الزوجية. حيث إن ما نعرضه هو ما يتوافر فيه الكم والكيف في العلاقات الزوجية السوية وفق شرع الله الحنيف والسنة النبوية المطهرة. أي أن ما نعرفه في هذا الفصل يمثل الجانب الملتزم في الحياة الزوجية للمجتمع السعودي وحيث تتوافق العلاقات الزوجية ومشروعية ما أمر به الله تعالى في محكم تنزيله، وما ورد في سنة نبيه المطهرة.

إن العلاقات الزوجية السوية نتاجها التوافق في الحياة الزوجية، واستمرارية الحياة دون وجود عوائق أو اضطرابات بين الزوجين.

حقوق الرعاية والولاية بين الزوجين:

إن أحق الرعاية أمر بها الله ورسوله هي الرعاية والولاية بين الزوجين. يقول تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾. وليست الحياة الزوجية مجرد سكن من متاع وأثاث ورياش، بل هي سكن روحي ونفسي بين قلبين جمع الله بينهما على عشرة طيبة وصفاء القلوب، والرحمة والمودة المتبادلة، والتوافق النفسي، والاجتماعي. فلا نبذ ولا كراهية بل مودة ورحمة.

مشروعية السكن بين الزوجين:

قال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

فمن آياته تبارك وتعالى أن خلق للناس من أنفسهم أزواجاً؛ ليجدوا فيها سكناً للنفس والروح، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء[1].

والرجل السوي مؤهلاً لأن يكون زوجاً وكذلك المرأة، لأن أياً منهما لا غنى له عن هذه الصفات المثلى التي يسعى إليها كل مخلوق من السكن والرحمة والمودة، وذكر تبارك وتعالى أن في ذلك آيات لمن يتفكر ويتدبر. يقول سيد قطب: «فيدركون حكمة الخلاق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر ملبياً لحاجته الفطرية: نفسيه وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجد أن في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد»[2].

ولقد اتبع هذا المنهج من السنة البشرية الأصيلة، الصالحون والأنبياء ومنهم رسول الله ﷺ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]

قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، جدة، دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦/١٩٨٦م.

(٢) سيد قطب: المرجع السابق.

للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (رواه البخاري ومسلم).

الترغيب في الزواج:

في الحديث سالف الذكر وغيره من الأحاديث ترغيب في الزواج وندب إليه، وقد ذهب العلماء إلى أن الزواج يكون واجباً إذا كان المرء قادراً وخشى على نفسه العنت، أما إذا لم يكن قادراً فعليه أن يستعفف حتى يغنيه الله من فضله، وقد دل الحديث على وسيلة ناجحة لتحقيق العفة وهي الصيام. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢، ٣٣].

والإسلام في موقفه هذا من الزواج ينسجم مع المنهج الرباني الكريم، من حرصه على عدم مصادمة الفطرة، وتصعيد الدافعية الجنسية والحاجة إلى الجنس حتى تؤدي غرضاً نظيفاً بنَّاءً[1].

وهذا السلوك المصادم للفطرة والغريزة ممن يجعل الزواج سنته، يتبرأ ممن يريد أن يمتنع عن الزواج. كما قال رسول الله ﷺ لمن أرادوا أن يقوموا الليل ويصوموا الدهر ويمتنعوا عن الزواج، قال: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء. فمن

(١) لطفي محمد الصباغ: نظرات في الأسرة المسلمة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ص ٦٦-٧٣ (بتصرف).

رغب عن سنتي فليس مني » (رواه البخاري ومسلم).

وممن يجعل الاستمتاع بالحياة الزوجية الحلال صدقة، ما قاله صلوات الله وسلامه عليه: «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أيكون عليه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» (رواه مسلم).

دعائم الحياة الزوجية في الإسلام:

دعائم الحياة الزوجية في الإسلام ما يأتي:

١- تحكيم دين الله في الحقوق والواجبات لكل من الزوجين.

وهذا مما يقطع دابر الخلاف، ويتيح للسعادة أن ترفرف بأجنحتها على بيت الزوجية، ذلك لأن الاحتكام إلى مقاييس ربانية وضعها رب العالمين يجعل في النفس راحة في الأخذ بها والوقوف عند حدودها. ولن يكون هناك نكد ولا خصام ولا خلاف إذا روعيت من الطرفين كليهما.

٢- حب ومودة ورحمة وسكن للزوجين:

هذه الصفات الثلاث المودة والحب والرحمة وأن كانت متقاربة في المعنى لكن لهذا الحب يسلك الزوجان للتعبير عنها، سبل المؤانسة والملاطفة والهداية.

أما الرحمة فهي فيض من المشاركة الصادقة في الفرح والحزن، والإشفاق المخلص والمعونة الظاهرة فيما يستطيع الإنسان أن يفعله، وقد

تكون بالنظرة الحانية والابتسامة المشرقة، والكلمة الطيبة والمساعدة المادية. وذكر تبارك وتعالى المودة والرحمة فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ...﴾ [الروم: ٢١].

وقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

٣- تعاون بين الزوجين في الحياة المشتركة تحت شعار الإيثار والتضحية:

فالزوجان يعملان في بناء أسرة إنسانية، ولا يمكن أن يتم البناء إلا بأن يكون عملهما متصفاً بالتضحية والإيثار والتسامح والتحمل، وإن غاب الإيثار والتسامح والتضحية عن جو الأسرة فلن يتواجد في جو آخر.

٤- العدالة والإنصاف في كل شأن من شؤون الحياة والتكافل التام في إحداثها:

إذ ينبغي أن يكون كل منهما عادلاً مع الآخر، فالظلم محرم بين المسلمين عامة. والحرص على العدل والتكافل بين الطرفين ينفي وجود الإحساس المرير بالظلم. والعدالة في الإسلام فيما يتعلق بالزوجية تُعد من دعائم الحياة الزوجية عامة، التي تشمل الموقف والكلمة والطلب والنفقة والثقة. ومن سلوك العدل بين الزوجين:

* اجتناب اللجاجة في الخصومة والإساءة في الكلمة. ومن العدالة ألا يُحمّل أحد الزوجين صاحبه ما لا يطيق. ومن العدالة الاقتصاد في النفقة واجتناب الشح.

* ألا يصغى أحدهما لوشاية الوشاة ولا لسعي النمامين ولهدم الهدامين.

* التكافل هو السبيل الوحيد الذي يجعل سفينة الحياة الزوجية تسير على طريق البناء والخير والسعادة والفلاح.

ولن تكون هناك سعادة في أسرة تقوم على الاستغلال والتقصير والتواكل والظلم.

إن بيتاً تقوم دعائم الحياة فيه على هذه الأسس المذكورة لجدير أن يقدم للأمة من تحتاجه من الأفراد الصالحين الأصحاء المستقيمين، وما زالت الأسرة في بلادنا ولله الحمد هي اللبنة الأولى التي تزخر بقيم أصيلة، يصلح بصلاحها المجتمع. فلنعمل على تسهيل الزواج، ولنهيء الظروف والأسباب لتقوم دعائم الحياة الزوجية كما أرادها الإسلام، لنسعد في مجتمعنا ولنقدم للإنسانية كلها نموذج الحياة الصالحة النظيفة السعيدة.

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]

المبحث الثاني

المودة والرحمة بين الزوجين

تمهيد

إن حُسن المعاشرة بين الزوجين يقتضي سلوكاً قويماً لا يُعكر صفوه إباحة عثرات أو زلات، بل إن المودة والرحمة التي أوجدها الله تعالى بين الأزواج، كفيلة بالتغلب على العقبات التي تواجه الحياة الزوجية، فينتشر الأمن والاطمئنان بين الزوجين، حيث تمثل الحاجة إلى الأمن والأمان ضرورة من ضرورات الدافعية الاجتماعية لتوافق الإنسان في حياته الاجتماعية، بل إن الحاجة إلى الأمن لأي من الزوجين تُعد أسمى الحاجات التي عند توافرها يتم التوافق النفسي.

المشاركة الفعالة في الحياة الزوجية:

قال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]

تقوم الحياة الإنسانية على المشاركة بين المرأة والرجل، عندما يكون السلوك القائم بينهما والتعامل سوياً طبيعياً. ومن سنة الله في خلقه أن كلاً من الجنسين مفتقر إلى الآخر، وأن أحدهما مكمل لصحابه، وباجتماعهما تحصل السعادة ويتحقق الخير والسلام والسرور[1].

(١) لطفي محمد الصباغ: نظرات في الأسرة المسلمة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ص ٦٩-٧٣ (بتصرف).

فمن آيات الله الدالة على ذلك أن خلق للناس من أنفسهم أزواجاً ليسكنوا إليها، فتستريح قلوبهم وأنفسهم، جعل بينهم مودة ورحمة. والإنسان يسعد بهذه المعاني من المودة والرحمة والسكن أكثر مما يسعد بالطعام الشهي والبيت الفخ واللباس المترف. لأن الإنسان إنما يتميز عن غيره من الكائنات بالمعاني لا بهذه الأعراض الزائلة من رغيف وثوب ومسكن، والناس عندما أعرضوا عن دين الله أضاعوا السعادة وخسروا الراحة والهناء، وسيطر عليهم البؤس والشقاء والضياع.

إن البيت المسلم أصبح هدف الكفرة يصوبون نحوه سهامهم ليزعزعوه وليزلزلوه، فتضيع مهمته التي ظل يؤديها أربعة عشر قرناً، على اشتداد الظلمات السياسية. وعلينا نحن أن نصوبه ونعمل علي أن يبقى قائماً بالعمل الخالد في إمداد الأمة بالمثل والقيم والأبطال الذين يحملونها من خلال تماسك أفراده وخاصة أبنائه وبناته.

إن التهاون في توفير المودة والرحمة بين الزوجين أمر في غاية الخطورة؛ لأن غياب المودة والرحمة سبب من أسباب دمار الحياة الزوجية واختلال العلاقات بين الأزواج، فالبيت الذي يسوده الشقاق والكراهية بيت عاجز عن تخريج الرجال الصالحين والنساء الصالحات وغالباً ما يضيع الأبناء وينحرفون عن جادة السلوك عندما تنهار بيوت الآباء.

السبيل إلى المودة والرحمة:

من الأمور المهمة التي يجب أن يلاحظها الزوجان لإبقاء جو المودة

والرحمة مخيماً على البيت، وخاصة إذا عمد الزوجان في لحظة من لحظات الصفاء إلى الاتفاق على وضع أسس سليمة للحياة المشتركة بينهما؛ لمواجهة المشكلات ساعة حدوثها، ويحسن أن تكون هذه الأسس مكتوبة ومطبقة، وأن يذكّر كل منهما نفسه بها بين الحين والحين. ومن أهم هذه الأسس:

١- أن يلتزما بآداب الإسلام وأحكامه وتوجيهاته، فيؤدي كل منهما واجباته نحو الآخر.

٢- أن يحتمل كل منهما صاحبه، فابن آدم خطاء، ولكل جواد كبوة ولكل امرئ هفوة، ولكل إنسان زلة. وأحق الناس بالاحتمال من كان كثير الاحتكاك بمن يعاشره.

٣- ألا يقابل أحدهما الانفعال بمثله، فإذا رأى أحد الزوجين صاحبه منفعلاً بحدة، فعليه أن يكظم غيظه ولا يرد على الانفعال مباشرة. وهذه النصيحة يجب أن تعمل بها المرأة أكثر من الرجل رعاية لحق الزوج.

٤- مراعاة كل منهما لصاحبه، فلا يجلس الرجل مع أهله في ثياب العمل القذرة، ولا في عرقه الفائحة روائحه. بل عليه أن يتخذ لبيته ثياباً نظيفة وأن يتنظف من بعد رجوعه إلى البيت، وكذلك فإن على المرأة أن تتنبه لهذا الأمر، لأننا نجد العروس في كثير من الأحيان تتغير بعد شهر العسل. فبينما كانت تبدو خلاله أو في الخطبة في أوج أناقتها، ترتدي أجمل ثيابها، وتخاطب خطيبها بأرق عباراتها، وتعامله بالحب الفياض، والاحترام الكبير، تتبدل بعد الزواج، وشهر العسل،

وتتحول إلى شيء آخر قبيح، تنقلب الأناقة شعثاً وقذارة، والابتسامة الحانية إلى عبوس وكآبة، والمعاملة الطيبة إلى نكد ومشاكسة، والمحادثة اللطيفة إلى صياح وشجار، ولا يعود يرى الزوج من زوجته ما يراه منها، أما الزينة والملابس الجميلة والروائح العطرية فمدخرة للضيوف والحفلات.

وربما تقول الزوجة الغافلة: إن الأناقة والرقة لا تليق بها بعد عشر أو عشرين من السنين قضتها في عشرة الزوج.

وهذا قول مباعد للحق والصواب.. هل انسلخ عن كونه إنساناً يأنس بالكلمة الحلوة، ويستمتع برؤية الجمال، وتسعد نفسه البسمة والرقة والعذوبة؟

إن كل إنسان مهما كان عمره ومهما كان عدد أولاده ومهما كانت أعماله يتطلع إلى أن تسره زوجته إذا نظر إليها.. بل إن كثرة المسؤوليات لتجعله أحوج إلى المعاملة الطيبة، واليد الحانية، والوجه الجميل.

أليس من العيب أن تعتني الزوجة بمظهرها إذا حضرت إليها صديقة أو أرادت الخروج لزيارة، في الوقت الذي تهمل نفسها وزينتها أمام الزوج؟ أو ليس الزوج وحده هو صاحب الحق في أن يتنعم بجمال زوجته وأناقتها وأن يرى عليها أحسن الملابس؟

الطاعة أساس المودة والرحمة:

هناك أمور أخرى من أهمها تقرير مبدأ طاعة الزوج فيما لا معصية فيه. وهذا أمر طبيعي، فإن كان الزواج شركة، وكان الرجل هو صاحب القوامة، فلا بد من طاعته فيما يأمر وينهى في حدود الشرع، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنان لا تجوز صلاتهما: عبد أبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع» (رواه الطبراني بإسناد جيد، والحاكم).

هذا وقد شاعت بين عدد من المثقفات فكرة خاطئة، وهي أن مساواة المرأة بالرجل تقتضي تحررها نهائياً من طاعته، وهذا غلط في مقدمته ونتيجته، فمساواة المرأة بالرجل خديعة أطلقها ناس وهم لا يصدقونها، لأن الواقع لا يصدقها. ولو كان ذلك صحيحاً فليس من الضروري أن يترتب عليها عدم الطاعة، لأن طاعة الرئيس لا تعني عدم المساواة بينه وبين مرؤوسيه.

وهذه الفكرة هي السبب في هدم بنيان كثير من الأسر اليوم.

وسائط الحياة المشتركة الطيبة:

١- إن الحياة المشتركة ينبغي أن تكون مبنية على التفاهم والتحاور والتشاور، ولكن القوامة ينبغي أن تكون للرجل كما قال ربنا تبارك

وتعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣٤]. وهناك حقيقة لا بد أن تعلمها الزوجة المثقفة وأن تتذكرها دائما، وهي أن الرجل السوي لا يحب المرأة المسترجلة التي ترفع صوتها فوق صوته، والتي تشاجره في كل أمر، وتخالفه في كل رغبة، وتسارع إلى رد رأيه أو ما يقول، إن هذا الرجل إن لم يطلقها عاش معها كئيباً عابساً كارهاً، فتكون بذلك قد حرمت نفسها رؤية البهجة المرحة في وجه زوجها ومعاملته، وحرمت بيتها التمتع بالحنان الدافئ. . وهي الخاسرة سواء شرد أولادها بالطلاق وتحطمت نفسيتها بالترمل، أم بقيت ي بيت تعلوه سحب المصادمات اليومية والحرائق التنازعية.

إن الزوجة الذكية هي التي لا تتخلى عن طبيعتها الرقيقة الهادئة الطيبة، إنها كما صورها الحديث الشريف راعية في بيت زوجها تصونه وترعاه. إذا نظر إليها زوجها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله.

٢- ومن هذه الأمور ألا يدخل أحد منهما في الخلاف إنساناً آخر مهما كان هذا الإنسان قريباً، حتى ولو كان والداً . . إلا أن يتفاقم الخلاف ويصبح التحكيم وسيلة من وسائل العلاج المحتوم.

٣- ومنها ألا يتكرر العتاب في مسألة واحدة إلا على سبيل الندرة. . إن كثرة العتاب والتوبيخ والإسراف في اللوم من الإعاقات لجو التعاون والتفاهم والمحبة.

٤- ومنها ألا تطول المقاطعة وألا يدوم الهجران بينهما أكثر من ساعات إذا كان السبب يسيراً، أما إذا كان نشوزاً أو ما إلى ذلك فله أن يهجرها في المضاجع ولكن لأمد محدود.

كما أن طول مدة الخصام تسقط هيبة الطرف الثاني، وتحفز على المضي في طريق الخصومة، وربما تفاقم الأمر إلى ما لا تحمد عقباه.

٥- ومنها أن يعترف المخطئ بخطئه، ولا يكابر إبقاءً على منزلته وهرباً من الحرج والخجل.. وأن ينسى الطرفان بعد ذلك هذا الخطأ.

٦- ومنها افتعال المنشطات وعوامل التجديد والترسيخ للمحبة كالابتسامة الدائمة، والملاطفة، والحرص على الاستحواذ على قلب صاحبه، وتفهم وضعه والتجاوب فهذه المنشطات بمنزلة إعادة بناء صرح الزوجية يومياً، وهو الصرح المستهدف، فإننا إن لم نسارع إلى إعادة بنائه، رجالاً ونساءً، نكون قد مكّنا أعداءنا منا، وأتحنا الفرصة لهم أن يهدموه.

٧- ومنها أن يهتم كل منهما بالآخر، وأن يفرغ له حيناً من الوقت يقضيه في المؤانسة والمجاملة والكلمة الطيبة.

٨- ومنها المفاجأة بالهدايا والمبالغة من كل منهما في إكرام أهل صاحبه، والتنظيم دون الانشغال بالأولاد والأعمال الخاصة والأصدقاء، مع القيام برحلات بين آونة وأخرى.

إن هذا الاتفاق له تأثير نافع في الحد من الخلافات الزوجية التي تهدد السعادة الزوجية، لا سيما إن كانت هناك رغبة من الطرفين بالحياة المشتركة.

وأخيراً ليعلم الرجل أن النساء متشابهات، وأن الكمال مستحيل، وأنه إن كره منها خلقاً رضي منها آخر.

ولتعلم المرأة أن الذي لا يعجبها من زوجها ربما يهون لو اطلعت على صفات أخرى لأزواج غيره، ذلك أن بيئتنا واحدة، وطباعنا متقاربه، وإقامة آية الله في الزواج وجعل المودة والرحمة ترفرف على البيوت، ينشر فيها الأمن والسكن والسعادة. والطريق إلى ذلك يبدأ من النفس وينتهي بالمجتمع.

المبحث الثالث

المسئوليات والواجبات المشتركة

في الحياة الزوجية

تمهيد

من دعائم الحياة الزوجية في المجتمع السعودي، ما تحدو به من الحقوق والواجبات بين الأزواج بما يقره الشرع الحنيف وفق ما جاء في كتاب الله العزيز وفي السنة النبوية المطهرة.

والواقع أن الزواج من الناحية الشرعية والاجتماعية يُعد بداية حياة جديدة تهدف إلى تكوين خلية اجتماعية جديدة تعمر بالمودة والسعادة والإيمان. فالزواج المتكافئ فيه الامتزاج والتكامل والتعاون والمشاركة بما تتضمنه كلمة الزوجية بأوفى ما يكون. لذلك هناك الأسس المشتركة التي تُعد بمنزلة وسائل وأهداف، وفي ذات الوقت تُمثل واجبات ينبغي على كل من الزوجين رعايتها ووضعها نصب أعينهما. وهي إذا كانت كذلك فهي كالدليل أو العلامات المضيئة على طريق الحياة الزوجية الهانئة بعون الله[1].

المسئوليات والواجبات المشتركة:

تتمثل هذه الواجبات والأهداف المشتركة بين الزوجين فيما يلي:

---

(١) أحمد محمد العسال، الإسلام وبناء المجتمع، الكويت، دار القلم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص ٢٣٦- ٢٥١ (بتصرف).

١- رعاية الحب والمودة بينهما:

فلقد جعل الله عز وجل للزواج هدفاً روحياً وإنسانياً ليعلو به على الجانب الشهوي البهيمي، فهذا الجانب ينقضي في لحظات كما تنقضي أي لذة. أما المودة والإنماء العاطفي فهما جانبان يتمتعان بالعاطفة والوجدان ويستمران أمداً متواصلاً بين حنايا الزوجين، ولذا فإن واجب الزوجين أن يتعهدا هذا الجانب كما يتعهد الزارع غرسه، وصدق الله في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ففي قوله تعالى: ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ما يتمثل شعوراً متبادلاً، لا يتم إلا بين الزوجين، أما أصحاب المتاع الحرام من الأخلاء فلا يجدون السكن النفسي والاطمئنان القلبي، ولا تقوم بينهم مودة دائمة ولا رحمة متبادلة، فشأنهم كشأن اللصوص يسرقون الفرص ويختلسون اللحظات، وصدق الله: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

٢- الشعور بالمسئولية:

الزواج مسئولية شرعية وفق ما يحدده الإسلام من مسئوليات وما تقتضيه أيضاً الحياة الزوجية في المجتمع السعودي من حيث أن المجتمع يدين بدين الحق ومن ثم فالزواج يمثل عهداً وموثقاً وعقداً، وتقتضي هذه المسؤولية أن يرعى كل من الزوجين صاحبه، ويرعى حقوق الآخر عليه

والواجبات المنوطة به. يقول الرسول الكريم في الحديث الذي يرويه عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع أهله وهو مسؤول عنهم، وامرأة الرجل راعية على مال زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ومن الشعور بالمسؤولية أن يتبادل الزوجان:

أ- النصح: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...﴾ [التوبة: ٧١].

ب- التعاون: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

جـ- التشاور: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

٣- رعاية حدود الله وأوامره:

وعلى الزوجين أن يعرفا أن الله جمع بينهما ليقيما شرعه وأمره ويعمرا حياتهما بالتقوى والعمل الصالح، وهذا خير ما يصون لهما حياتهما ويجعلها ممتدة نامية مؤثرة منتجة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

وحتى يتم ذلك فإن من واجباتهما لتثبيت هذا الجانب ما يأتي:

أ- أن يتفقها في الدين ويبدءا بالواجبات العينية من إحسان العبادة ومعرفة الآداب والأخلاق الإسلامية، وحدود الزينة، وطريقة الرسول الكريم وأصحابه في التربية.

ب- معرفة حدود الحلال والحرام في الاجتماع والترفيه وينبغي التأكيد في هذا الموضوع بأن سعة الإسلام ويسره وإيمانه بترويح النفس وتسليتها لتنشط على العبادة وعمل الخير، وفرق هنا بين الترفيه الممتع الذي يجلب المسرة من غير فحش ولا تفحش وبين الترفيه الخبيث الذي يفسد النفس والأخلاق.

جـ- حفظ أسرار الزوجية، وذلك لقوله تعالى: ﴿قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ...﴾ [النساء: ٣٤].

ومن جملة الغيب الذي ينبغي أن يحفظ ما يكون بينهما من علاقة خاصة فلا تكون حديثاً في المجالس أو سمراً في الندوات مع الأصدقاء والصديقات ففي الحديث: «إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها»، والحديث الآخر عن أبي هريرة: «صلى بنا رسول الله ﷺ فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال: مجالسكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث فيقول: فعلت بأهلي كذا؟ فسكتوا، فأقبل على النساء فقال: هل منكن من

تحدث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتها وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ: فقالت: إي والله إنهم يتحدثون، وإنهن ليتحدثن، فقال عليه السلام: هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ شيطان وشيطانة لقي إحداهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه».

د- ومما لا يتم الواجب إلا به إدراك مشكلات العصر، وقراءة التجارب الحديثة في التربية وعلم النفس رغبة في معرفتها، لأخذ النافع منها، كي ندرك ما يواجه أجيالنا الناشئة من تغيرات اجتماعية لنستطيع توجيههم بحكمة وسداد.

هـ- معرفة ظروف الأمة الإسلامية عامة وظروف المجتمع السعودي خاصة والمشكلات التي تواجهه. وأنه ما لم ندرك أحوال أمة الإسلام وأحوال المجتمع السعودي فلن نستطيع أن نكون جزءًا حياً في هذا الوطن، وتلك مسؤوليتنا بين يدي الله، ودليل انتسابنا إليها. والقرآن الكريم يقول ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] والرسول الكريم يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وشتان بين من ينشأ وفي حسه وضميره وفهمه وشعوره الانتساب الحي لأمة الإسلام ولوطنه، وآخر ينشأ فاتر الحس ميت الشعور فاقد الإدراك، مقطوع الصلة والانتماء.

المبحث الرابع

حقوق الزوجة تجاه الزوج

تمهيد

الولاية للزوج والقوامة له بحكم الشرع، ولكن الله أمر الرجال من حيث قوامتهم على النساء الترفق بزوجاتهم ومعاملتهم أيضاً بالعشرة وبالمعروف أو أن يفارقوهن بإحسان. ونعرض فيما يلي حقوق الزوجة على الزوج.

حقوق الزوجة على الزوج:

من حقوق الزوجة على زوجها ما يأتي[1]:

١- القيام بحق القوامة التي أعطته إياه الفطرة وقامت بتسليمه بمسؤوليتها فيؤدي لزوجته حقوقها المادية والمعنوية ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤].

٢- أن يعاملها بالرفق والحنان مقدراً طبيعتها وذلك معنى المعروف الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ

(١) أحمد محمد العسال: الإسلام وبناء المجتمع، الكويت، دار القلم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٥١ (بتصرف).

عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد وصى رسول الله بالنساء في آخر خطبة له مؤكداً ذلك المعنى فقال: «أما بعد أيها الناس.. إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق: لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح. فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

«واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فرجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»[1].

وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

٣- رعاية دينها وأخلاقها بأن يكمل الناقص عندها بإيجاد الحوافز المعينة على ذلك ويأخذها بالتدريج، فإن الفتاة المسلمة في بلاد المسلمين عامة أهملت في جوانب كثيرة. وعلى الزوج أن يعلم أن تفقيهها من أول واجباته. يقول الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا

(١) محمد حيدالله: الوثائق السياسية، دار الإرشاد، ط١، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٣٩٨.

نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

ومما يتم الواجب به أن يجعلها تزور الصالحات وترتاد دروس العلم وتشهد المحاضرات العلمية النافعة ويكون لها مكتبة منزلية منتقاة.

٤- أن يصبر عليها فالكمال لله وحده والعصمة لنبيه، والحياة من شأنها التغير والبدل، والنفوس من طبعها التقلب، والصبر هو خير معوان على ما يلقاه الإنسان وخاصة في نفسه وأهل بيته، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ...﴾ [البقرة: ٤٥].

وقوله ﷺ: «لا يفرك (أي لا يبغض) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر، أو قال غيره».

المبحث الخامس

حقوق الزوج تجاه الزوجة

تمهيد

يقول الرسول ﷺ: «أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله أجر مثل ما أعطى أيوب -عليه السلام- على بلائه، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسيا بنت مزاحم» (امرأة فرعون).

والله تعالى جعل المرأة سكناً نفسياً للرجل، وأقام سبحانه وتعالى الحياة الزوجية على المودة والرحمة. فالرجل.. قوام.. يقضي نهاره في طلب الرزق، ويسعى ويجاهد، فإذا أوى إلى بيته وجد الراحة النفسية والطمأنينة، وبين هذا وذاك تنمو المودة والرحمة، بمعنى أنها تزداد يوماً بعد يوم، فيزداد الوثاق والرباط القوي بين الزوجين.

حقوق الزوج على الزوجة[1]:

من حق الزوج على زوجته ما يأتي:

١- أن ترعى زوجها، فتكون سكنه وراحته، فلا يرى منها إلا ما يحب.

سئل رسول الله: ما خير النساء؟ فقال: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك وولدك». فعليها تهيئة بيته تهيئة

(١) أحمد محمد العسال: مرجع سابق، ص ص ٢٤٢، ٢٤٣.

تجعله يرى فيه الأنس والجمال، وعليها أن تلاحظه وتشاركه الامه وآماله، فتفرّج عنه في الأولى وتشجعه لتحقيق الثانية، فتكون بذلك خير معين له، فيزداد قدرها في نفسه.

٢- أن ترعى طاقته وقدرته في الإنفاق، وتساعده بتدبير معاشه، فقد نهاها الله عن الإسراف والتبذير كما حرم البخل والتقتير، وخير الأمور التوسط والعدل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

ومن المعروف أنه كثيراً ما أفسد البيوت وعرضها للدمار تطلع بعض النساء إلى الاستكثار من ملابس «الموضات» وأدوات الزينة على حساب بيوتهن وأزواجهن وأولادهن، وهو باب ليس له نهاية، والاقتصاد فيه واجب المرأة المسلمة، وقد جعل الله الجمال في البساطة والنظافة. فلتحذر المرأة المسلمة الأخطار الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن جريها وراء الكماليات المبددة لثروة الأسرة والأمة فيما لا يغني ولا يفيد.

٣- أن تطيع الزوجة زوجها وتحفظه في بيته، قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحداً، ولا تعتزل فراشه، ولا تضربه إذا كانت أقوى منه جسداً»، فإن كان هو أظلم فتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت

وقبل الله عذرها، وأفلج «أي أظهر» حجتها، وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها».

وفي الحديث الآخر: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان» -(أي متخاصمان).

obeikandl.com